سلسلة محاضرات البحر الأحمر

كراسة رقم (1)

أمن البحر الأحمر
ومستقبل الدولة السودانية

الإمام الصادق المهدي

الطبعة الأولى 2024م

كراسة رقم (1)

أمـن البحر الأحمر
ومستقبل الدولة السودانية

الإمام الصادق المهدي

الطبعة الأولى
2024م

اسم الكتاب

أمن البحر الأحمر
ومستقبل الدولة السودانية

المؤلف

الإمام الصادق المهدي

الإيداع القانوني

...../2024م

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:
الطبعة الأولى – 2024م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم	5
مدخل	7
من هو الإمام الصادق المهدي؟	9
النقطة الأولى: شروط وحدة السودان:	18
النقطة الثانية: حوض النيل:	19
النقطة الثالثة: شمال الصحراء وجنوبها	21
النقطة الرابعة: إتفاق دول البحر الأحمر:	21

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

القارئ الكريم نحمد الله تعالى على مننه وفضله وتوفيقه فإن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان وفي إطار أنشطته العلمية والفكرية نفذ عدداً من المحاضرات والندوات العلمية المختلفة التي تناولت قضايا البحر الأحمر من زوايا مختلفة من قبل مفكرين وأكاديميين وباحثين مرموقين لهم إسهاماتهم العلمية والفكرية الواضحة في هذا المضمار، ولأهمية هذه المحاضرات التي تشكل في تقديرنا نتاج جهود وزبدة أفكار هؤلاء العلماء عن البحر الأحمر رأت اللجنة العلمية بالمركز نشرها وتوثيقها في سلسلة كراسات علمية تحمل اسم سلسلة محاضرات البحر الأحمر وذلك حتى تعم الفائدة على الجميع.

وختاماً نسأل الله تعالى أن تفيء هذه السلسلة بالغرض والهدف المطلوب وسوف تنشر تباعاً إن شاء الله وباكورة هذه السلسلة المحاضرة القيمة التي قدمها المفكر السوداني (الحقاني) الإمام الصادق المهدي عليه الرحمة بجامعة الأحفاد بتاريخ 17 سبتمبر 2020م، وهي نتاج شراكة علمية بين المركز وصالون الإبداع وجامعة الأحفاد للبنات بأم درمان.

مدخل

ناقش الإمام الصادق المهدي عليه الرضوان في هذه المحاضرة المضغوطة قضية كبيرة ومهمة وهي «أمن البحر الأحمر ومستقبل الدولة السودانية»، فأودع فيها خلاصات فكره الذي بذله عبر السنين ونشره في كتابات كادت عناوينها أن تصل الألف عنوان على موقعه بالشبكة العنكبوتية، وبعض تلك الكتابات لم ترد في ذلك الموقع بعد.

نظر الإمام لأمن البحر الأحمر ومستقبل السودان ضمن تركيب مترابط يقع السودان في قلبه، ويضم حوض البحر الأحمر وحوض النيل وما أسماه بحوض الصحراء الكبرى، فقدم أطروحته في أربع نقاط حول وحدة السودان المهددة بالتفتيت وشروطها، والمطلوب لحل الإشكال في حوض النيل، وإحداثيات النظرة للصحراء الكبرى كواصل لا فاصل بين شقيها الجنوبي والشمالي، وأخيرًا وليس آخرًا ضرورة إبرام اتفاق أمن وتعاون بين الدول المتشاطئة على البحر الأحمر يتضمن ما وصفه بأنه مشروع مارشال تنموي تنفق فيه الدول غربي الأخدود على مشروعات التنمية شرقيه.

هذه الكبسولة الفكرية مفرداتها مشروحة بتوسع في أدبيات نذكر منها:

- بالنسبة للوحدة السودانية يمكن للمستزيد الرجوع للعديد من كتبه وأهمها في الخصوص: ميزان المصير الوطني في السودان، الهوية السودانية بين التسبيك والتفكيك، السودان وحقوق الإنسان، الإنسان بنيان الله، نحو مرجعية إسلامية متجددة، جدلية الأصل والعصر، ونحو ثورة ثقافية.

- فيما يخص قضية حوض النيل فالأدبيات محصورة في كتابين: مياه النيل: الوعد والوعيد، ونعمة النيل ونقمته: أوراق في المياه وسد النهضة.

- أما موضوع الصحراء الكبرى كواصل لا فاصل فيمكن متابعته في كتاب «أحاديث الغربة»، ومحاضرة «السودان بوابة مزدوجة عربية أفريقية وهو صرة حوض النيل والبحر الأحمر»، والعديد من المقالات مثلا: «أفريقيا هل تنظر عبر الصحراء أم عبر المحيط»؟

- وقد ناقش أطروحته بشأن التكامل التنموي بين ضفتي البحر الأحمر كذلك في عدد من الأدبيات منها دراسته عن علاقات السودان الخارجية في كتاب «يسألونك: كبسولات متنوعة»، والكلمة التي ألقاها أمام المؤتمر الدولي للتعاون الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي ودول حوض النيل عام 2016م.

هذه الأدبيات وغيرها موجودة بموقع الحبيب الإمام الصادق المهدي على الإنترنت، وبعضها مبذول في المكتبات العامة أو التجارية وفي الأسافير. ومع أن القارئ السوداني خاصة والعربي عامة نظر للإمام كسياسي أكثر منه مفكر، فلم يتم الالتفات للتحليل العميق الذي قدمه للواقع ونصح بالحلول الناجعة، فالمعاصرة حجاب، إلا أننا نأمل أن غيابه عن الساحة كمنافس لهذا، وغريم متخيل لذاك، ربما يرفع العصابة عن أعين كثيرة، فتنظر لأطروحاته التي اجتهد فيها أيما اجتهاد بجدية واهتمام. لقد خلّف الإمام عليه الرضون ما قدره فريق متخصص من دار الوثائق القومية، عمل على فهرسة أوراقه منذ ما بعد انتقاله الأليم وحتى قيام حرب أبريل 2023م، بأنه قد يبلغ مليوني وثيقة. وهي الآن تحت القصف نسأل الله لذلك الكنز المعرفي الذي لا يقدر بثمن الحفظ، وللسودان وأهله الأمن والسلام.

وفي هذا المدخل لأطروحته حول أمن البحر الأحمر ومستقبل الدولة السودانية نقدم نبذة وجيزة عنه، لفائدة الأجيال الجديدة التي ربما لم يتح لها التعرف على الكاتب، وليدرك القارئ والقارئة أن هذا الفكر هو نتاج كدح عملي على الأرض، وصيد متعمق في ثمرات الفكر السياسي المعاصر.

من هو الإمام الصادق المهدي؟

إنه من مواليد حي العباسية بأم درمان في 25 ديسمبر 1935م. من عترة الإمام المهدي مفجر الدعوة والثورة المهدية في القرن التاسع عشر. والده السيد الصديق عبد الرحمن المهدي، ووالدته السيدة رحمة عبد الله جاد الله ابنة ناظر عموم الكواهلة الملقب بكسار قلم مكميك».

التعليم:

كان في طفولته الباكرة متنقلا بين العباسية والجزيرة أبا، وكان يذهب لخلوة الفكي أحمد العجب في العباسية، وخلوة الشيخ علي السيوري في الجزيرة أبا. دخل روضة ثم كتاب الأحفاد، ثم مدرسة كمبوني الوسطى، ثم كلية فيكتوريا الثانوية بالإسكندرية، والتي هجرها عام 1952م لتقديره أنها تعليم استلابي ينزع الطلاب عن جذورهم، وعاد للسودان لتلقي أصول اللغة العربية على يدي الشيخ الطيب السراج، وأصول الفقه والقراءات على يدي الشيخ يوسف إبراهيم النور.

أواخر عام 1952م دخل كلية العلوم جامعة الخرطوم كمستمع، وذلك بعد حصوله على وعد من عميد الكلية بنقله للسنة الثانية إذا نجح في الامتحان. فجلس للامتحان في مارس 1953م وبرغم اجتيازه تحرج عميد الكلية من الوفاء بالوعد، وبدلا عن ذلك هيأ له الجلوس لامتحان جامعة أوكسفورد في مارس 1954م. وقد مر في امتحان القبول لجامعة أوكسفورد وقُبل بكلية

القديس يوحنا بها، لدراسة الاقتصاد والفلسفة والعلوم السياسية، فتخرج منها في 1957م بدرجة الشرف، ومن ثم نال درجة الماجستير تلقائيا بعد عامين.

الحياة العملية:

وظف بعد عودته بوزارة المالية، وكان يخطط للتقدم لبعثة لدراسة الزراعة بكاليفورنيا الأمريكية، ولكن بعد قيام انقلاب نوفمبر 1985م استقال من وزارة المالية، والتحق بشركة دائرة المهدي الزراعية، وانخرط في صفوف المعارضة معاونًا لوالده الإمام الصديق الذي تصدى لمقاومة الاستبداد العسكري حتى دفع حياته ثمنًا إثر ذبحة صدرية أصابته بعد أحداث المولد (21 أغسطس 1961م)، وهي الأحداث التي استشهد فيها اثنا عشر من الأنصار وكان والده الصديق الشهيد الثالث عشر الذي لحقهم في 2 أكتوبر 1961م.

اشترك السيد الصادق بهمة في معارضة النظام العسكري ونسق مع الطلبة والعمال وحينما انطلقت شرارة الثورة شمّر في قيادتها وأمّ الصلاة على جنازة الشهيد القرشي، وشارك في وفد التفاوض مع النظام العسكري وكتب ميثاق الثورة.

أُنتخب بعد نجاح الثورة وفي نوفمبر 1964م رئيسًا لحزب الأمة، ولاحقًا أُنتخب رئيسًا للوزراء في الفترة يوليو 1966م وحتى مايو 1967م، وقد جذب نهجه التجديدي تحالفًا ضده جمع الحرس القديم في اليمين، مع قوى اليسار.

أُعتقل بعد قيام انقلاب مايو 1969م في 4 يونيو 1969م وحتى مايو 1973م حيث أطلق سراحه ضمن النص على الحريات عقب اتفاقية أديس أبابا (مارس 1972م)، ثم اشترك في التخطيط لانتفاضة شعبان (أغسطس/

سبتمبر 1973م)، واعتقل مرة ثانية في 62 ديسمبر 1973م حتى أبريل 1974م إذ أفرج عنه لأسباب صحية، فسافر للخارج حيث التحق بالجبهة الوطنية المعارضة بالخارج، وقاد الانتفاضة المسلحة في 2 يوليو 1976م، والتي وصمها النظام الدكتاتوري حينها ظلمًا بأحداث «المرتزقة».

استجاب لدعوات الحوار التي أسفرت عن مشروع المصالحة الوطنية والتي عاد إثرها للبلاد في سبتمبر 1977م، وقبل عضوية المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي في أغسطس 1978م ثم ما لبث أن تبين له خداع النظام المايوي فقدم بعد شهرين وفي 12 أكتوبر 1978م استقالته المسببة عن المنصب وأعلن فشل مشروع المصالحة الوطنية.

ظل بعد ذلك متنقلا بين العواصم بين الداخل والخارج، وحينما أعلن النظام المايوي قوانين سبتمبر 1983م المسماة بقوانين الشريعة عاد للبلاد وأعلن معارضتها وأنها لا توافق النهج الإسلامي السديد في خطبة صلاة عيد الأضحى المبارك، 18 سبتمبر 1983م، فتم اعتقاله وعدد من قادة حزب الأمة حتى ديسمبر 1984م حينما أفرج النظام عنهم وعن الإخوان الجمهوريين الذين زاملوهم في المعتقل، في خطة للاغتيال القضائي بعد أن سن قوانين تهيئ له تصفية معارضيه قضائيا بحد الردة.

شمّر للمشاركة في الانتفاضة المباركة التي فجرها في مارس 1985م اتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية بقيادة تحالف الطلاب الأنصار حزب الأمة والاتحاديين والمستقلين، ونسق مع التجمع النقابي الذي سير مواكب الانتفاضة، وسعى للاتصال بقادة الجيش لتأكيد انحيازهم للشعب وكتب مسودة ميثاق الانتفاضة.

بعد نجاح الانتفاضة أعيد انتخابه رئيساً لحزب الأمة، ومن ثم أُنتخب رئيسا للوزراء في مايو 1986م بعد نيل حزبه لأكبر وزن انتخابي بدون الحصول على أغلبية مريحة، فكون عددا من الحكومات الائتلافية التي قادت البلاد وواجهت العديد من الصعوبات الخاصة بتحقيق السلام، ومعالجة التردي الاقتصادي، والتعامل مع قوانين سبتمبر الشائهة التي أزمع إلغاءها، وحال دون ذلك حصول الحزب الاتحادي الديمقراطي والجبهة الإسلامية القومية معا على أوزان مقدرة داخل البرلمان ومعارضتهما لما أسموه «إلغاء الشريعة». لاحقًا وقع الاستقطاب بين الاتحادي والجبهة حول قضيتي السلام والأسلمة، وقاد السيد الصادق مجهودات كبيرة للحصول على توافق القوى السياسية حول خطي السلام والأسلمة، فأثمرت لقاءات القصر بقيادة السيد ميرغني النصري تقدمًا كبيرًا شارك فيه الجميع إلا أن الجبهة الإسلامية انسحبت في النهاية ثم شنعت على الحكم الديمقراطي وانقلبت عليه في 30 يونيو 1989م .

أُعتقل في 7 يوليو 1989م بعد أن وجه مذكرة لقائد الانقلاب يدعوه لحل سلمي متفاوض عليه لتجنيب البلاد ويلات المواجهة مع وضعها الهش، وتعرض للتصفية الصورية والتهديد بالاغتيال في 2 أكتوبر 1989م إذا لم يسجل شهادة بأن الديمقراطية فشلت، فرفض الانصياع، ومن داخل سجن كوبر كتب شهادة مضادة خرجت في كتابه «الديمقراطية في السودان راجحة وعائدة».

أُطلق سراحه في 1 مايو 1991م ضمن عفو عام، وصار عرضة للملاحقة الأمنية اللصيقة التي تحصي أنفاسه والاعتقالات المتكررة، ثم هدد في 1996م بالتصفية إذا انطلقت المعارضة المسلحة من الشرق، فخرج من

البـلاد سـرًا في عمليـة سـماها «تهتـدون» في 21 ديسـمبر 1996م. وإلتحـق بالمعارضـة التـي قادهـا التجمـع الوطنـي الديمقراطـي بالخـارج.

بعـد تفجـر الحـرب الإرتريـة الأثيوبيـة في 1998م تعرضـت المعارضـة بالخـارج لهـزة، وصاحـب ذلـك دبيـب الخـلاف داخـل النظـام وسـعي بعض رمـوزه للالتقاء بقـادة المعارضـة وإظهـار مرونـة في قبـول مطالبهـا، فقابلـه بدايـة الدكتـور حسـن الترابـي في مايـو 1999م بجنيـف، ثـم سـعى غريمـه رئيـس النظـام بمقابلتـه في جيبوتـي في نوفمبـر 1999م. فقـدر أن تراجـع النظـام فتـح البـاب للحـوار وإمكانيـة العـودة للداخـل فعـاد وقـادة حزبـه في عمليـة أطلـق عليهـا اسـم «تفلحـون» في 21 نوفمبـر 2000 م. ثـم اتضـح أن النظـام يهـدف فقـط لإشـراكه وحزبـه في الحكـم بـدون تغييـرات حقيقيـة. (عـرض عليـه النظـام في محطـات مختلفـة المشـاركة مناصفـة في الـوزارات، إلا أنـه رفـض). واتخـذ حزبـه قـرار 18 فبرايـر 2002م بـألا تتـم المشـاركة إلا في حكومـة انتقاليـة قوميـة أو بعـد انتخابـات نزيهـة. بعدهـا انسـلخ مـن حزبـه بعـض القيـادات والكـوادر وانخرطـوا في النظـام الاسـتبدادي وسـاعدهم النظـام في عقـد مؤتمـر بسـوبا في يوليـو 2002م، زعمـوا فيـه أنهـم حلـوا الحـزب وقيادتـه، وحلـوا محلهـم.

في ديسـمبر 2002م أُنتخـب إمامـا للأنصـار في المؤتمـر العـام الأول لهيئـة شـؤون الأنصـار، وبقـي الإمـام في المعارضـة، يسـتجيب تـارة لدعـوات الحـوار مـع وضـع شـروطه واسـتحقاقاته وينسـحب تـارة حينمـا تغيـب، فقضـى أثنـاء نظـام «الإنقـاذ» نحـو ثمانـي سـنوات في المنفـى، كمـا أنـه أُعتقـل مـرات عديـدة كان آخرهـا إعتقـال عـام 2014م بسـبب إنتقـاده لانتهـاكات قـوات الدعـم السـريع الـذي إعتبـر حينهـا «خيانـة عظمـى» مـن أبـواق النظـام.

كما أنه شارك في العمل الجبهوي المعارض عبر قوى الإجماع الوطني، ثم أبرم حزبه مع الجبهة الثورية التي تتخذ المقاومة المسلحة إعلان باريس في أغسطس 2014م، ثم أبرم معها وقوى الإجماع ومبادرة المجتمع المدني نداء السودان في ديسمبر 2014م، وهو نواة التكتل المعارض الذي بلغ ذروته في يناير 2018م عبر مشروع الخلاص الوطني، وفتح الطريق لتكوين أكبر جبهة معارضة للنظام بنهاية العام حيث تم التوقيع على إعلان قوى الحرية والتغيير في 1 يناير 2019م.

شارك في التعبئة لثورة ديسمبر المجيدة عبر العديد من الخطب والكتابات والخطابات التي نشرت في كتاب «حراسة مشارع الحق»، وأعلن أن دوره ودور حزبه هو رفد حماسة الثورة بميزان الحكمة، فقدم العديد من المبادرات أهمها العقد الاجتماعي الجديد.

رفض مشروع التطبيع مع العدو الإسرائيلي الذي تبناه قادة الحكومة الانتقالية العسكريين والمدنيين.

ولقي ربه راضيًا مرضيًا إن شاء الله إثر أصابته بالكورونا في 26 نوفمبر 2020م.

فكره ونشاطه الإقليمي والدولي:

نشرت مؤلفاته في أكثر من تسعمائة عنوان من كتاب، ومقال، ودراسة، ومحاضرة، وخطبة، ومنشور. وبلغ عدد الكتب المنشورة حتى الآن أكثر من 120 كتاباً وكتيباً، مع مئات البحوث والأوراق. وهي تغطي قضايا فكرية سياسية ودينية واجتماعية وثقافية وفلسفية وبيئية ورياضية وفنية عديدة.

وقد شارك الإمام عليه الرضوان في العديد من المؤسسات الإقليمية والدولية كمفكر وسياسي ومهتم بقضايا المياه والنهضة الإسلامية والعدالة الدولية والتحول الديمقراطي. فكان من مؤسسي المجلس الإسلامي الأوربي في سبعينات وثمانينات القرن الماضي. وكان حتى رحيله رئيسًا للمنتدى العالمي للوسطية ومقره الأردن، وعضوا باللجنة التنفيذية لنادي مدريد الذي يضم قادة حكومات ورؤساء دول سابقين بالعاصمة الأسبانية وكان العضو الوحيد بالنادي من العالم العربي قاطبة، كما كان عضواً بمجلس أمناء المجلس العربي للمياه. وكان السوداني الوحيد الذي اُختير لعضوية المجموعة الإستشارية التابعة لمجموعة العمل الدولية للدبلوماسية الوقائية، وهي مجموعة أُنشئت بالتعاون بين معهد الشرق والغرب ووزارة الخارجية الألمانية، مع عدد من القيادات الدولية الناشطة في حقل الدبلوماسية الوقائية، كما تم اختياره عضوا لمنبر أفريقيا (منبر رؤساء أفريقيا ورؤساء حكوماتها السابقين) لمساندة تحقيق أهداف الاتحاد الأفريقي وخطة النيباد. وكان عضواً بالمؤسسة العربية للديمقراطية. وقد إختاره معهد الدراسات الموضوعية بنيودلهي ضمن أعظم مائة شخصية مسلمة في القرن العشرين في 2006م وكان السوداني الوحيد بالقائمة. كما منحته مؤسسة قوسي بالفلبين جائزة قوسي للسلام عام 2013م. واختارته منظمة اليونفبا سفيرا للنوايا الحسنة لجهوده في محاربة ختان البنات، كما كرمته جمعية البيئة بجامعة الأحفاد لجهوده في التوعية البيئية. واُختير بين أكثر 76 شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين من قبل المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية بالأردن ومركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة «جورج تاون» بالولايات المتحدة، وكان السوداني الوحيد كذلك.

ختام:

في هذا المدخل المعرّف بمظان فكر الإمام حول القضية المطروحة وبالإمام كشخصية سودانية ملأت الحيز الفكري والسياسي والديني والاجتماعي السوداني على مدى ستة عقود، فإننا نحيل المستزيد من فكره لموقعه الرسمي على الإنترت، ونحيل المتطلع لسيرته إلى مجلدات «الإمام الصادق المهدي سيرة ومسيرة» الخمسة والتي نشرتها في تواريخ مختلفة وهي موجودة في مواقع عديدة على الفضاء السايبري.

وفي الختام لا نملك إلا أن نشكر مركز أبحاث البحر الأحمر لقيامه بإصدار هذه الكراسة، والدعاء لله أن يجعل ثمرات فكر الإمام علمًا نافعًا وصدقة جارية لروحه الطاهرة.

رباح الصادق

المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي

مقدمة

التحدي الذي يواجه أمتنا فكرياً هو كيفية الإنفتاح الإيجابي على العصر دون قطيعة مع التراث، وإمكانية إقامة الدولة الوطنية المعاصرة. هذه قضايا قد تطرقت إليها في مؤلفاتي ويمكن الرجوع إليها هناك [1].

أما بخصوص موضوع حديثي اليوم فأبدأ بالإشادة بالأنشطة الثقافية والاجتماعية التي تستضيفها جامعة الأحفاد التي استطاعت أن تحافظ على هويتها في الثلاثين عاماً الساحقة الماحقة. وأشكر مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. كما أشيد بصالون الإبداع للثقافة والتنمية الذي إنطلق من جذور أنصارية ثم فتح بابه لأبناء الوطن من جميع المشارب فصار لوحة قومية بحق.

بعض التقليديين يحرّمون الغناء وهو موضوع تناولته في كتابي: الدين والفن[2]. أحد افراد أسرة عريقة في الأنصارية تحول للشيوعية ولدي حضوره مشهد سماع في دارنا قال لي: لو كنتم تغنون لما تركناكم.

الحقيقة أن الإمام عبد الرحمن عليه الرضوان مثلما هو أنجح قائد ديني وفق عملياً بين التأصيل والمعاصرة كذلك كان راعياً للإبداع الفني وأغلب شعراء الحقيبة التي أسميتها الذخيرة مدحوه. كما شجع فن المسرح. وقال عبيد عبد الرحمن في مدحه هذه الأبيات:

آويتنا ودنيتنا ونارديتنا بي أسمانا ... ولميت شقة الفرقة القبيل قاسمانا
أيادي نعمتك في كل شيء مقاسمانا ... بان في وجوهنا خيرها وشارة الشرف وأسمانا
كنت رجانا يا مولانا كنت عزانا ... في وجودك وجود ذاتنا وحياتنا مزانة
من بعدك نفوسنا تسربلت أحزانا ... ومن بعدك عقولنا تحيرت وتغيرت أوزانا

(1) يشير الكاتب للعديد من الكتابات، أهمها: الإمام الصادق المهدي، نحو مرجعية إسلامية متجددة، 2004م. الصادق المهدي، جدلية الأصل والعصر 2001.

(2) الإمام الصادق المهدي، الدين والفن، نشر في 2006م، وأعيدت طباعته مع إضافات في 2021م، كما أنه ضمّن في المجلد الأول من الأعمال الكاملة للإمام الصادق المهدي، 2022م، منشورات ويلوز هاوس.

سوف أتناول موضوع اليوم عبر أربع نقاط هي:

النقطة الأولى: شروط وحدة السودان:

السودان حتى انفصال الجنوب يمثل أفريقيا مصغرة وتنوعه يغري أعداءه بالكيد له لتمزيقه إلى خمس دويلات بائسة إذا لم نراع شروط وحدته وأكبر معولين لهدمها هما: الأول: النظم الديكتاتورية وأجندات الحكم الأحادية. فانتفاضات البلاد الشعبية التي وقعت أثناء العهود الاستبدادية الثلاثة، والحروب الأهلية الأربعة كذلك وقعت أثناء تلك العهود، فالدكتاتورية بإستبدادها الفوقي تؤدي حتماً للمقاومة المسلحة والأهداف الانفصالية.

والمعول الثاني لهدم وحدة الوطن هو أصحاب الأجندة الشمولية الإسلاموية التي سطت على حكم البلاد وإليها يعود إنفصال الجنوب والحروب الأهلية الأخرى. وكما قالت صحفية مصرية في صحيفة العالم المصرية: الجريمة إنقلاب يونيو في السودان، العقوبة: انفصال الجنوب.

لقد تطرقت لعوامل هدم الوحدة الوطنية في السودان وفي كتاب بعنوان: الهوية السودانية بين التسبيك والتفكيك [3].

شروط الوحدة الوطنية في السودان هي: توجه فكري يوفق بين التأصيل والتحديث، ونظام سياسي ديمقراطي، ونظام اقتصادي يحقق التنمية والعدالة الاجتماعية، وميثاق سياسي يعترف بالتنوع الثقافي في البلاد، وقوات مسلحة موحدة وذات عقيدة عسكرية قومية.

إن عوامل هدم وحدة الدولة السودانية كثيرة، ولكننا سوف ننذر أنفسنا مجندين لحماية مشارع الحق وبناء مستقبل الدولة الوطنية السودانية.

(3) الإمام الصادق المهدي، الهوية السودانية بين التسبيك والتفكيك، منشورات صالون الإبداع للثقافة والتنمية، الطبعة الثانية، 2021م. ضمن الكتاب كذلك في المجلد الثاني من الأعمال الكاملة للإمام الصادق المهدي، منشورات ويلوز هاوس، 2023م.

لقد ساهمنا في الثورة الشعبية المجيدة ووفقنا بين الحماسة وتوازن القوى [4]، وسوف نقيل عثرات الفترة الإنتقالية العديدة عن طريق العقد الاجتماعي الجديد الذي اقترحناه وآلية تحويله لبرنامج أجندة للوطن عبر المؤتمر الأساسي المقترح. ما ضاع حق قام عنه مطالب والوعد الحق (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [5].

النقطة الثانية: حوض النيل:

إن وضع السودان الجيوسياسي يتطلب منه أداء دور رسالي في ثلاثة أحواض هي: حوض النيل، حوض البحر الأحمر وحوض الصحراء الكبرى وهي أحواض العوامل فيها متداخلة هنا أتناول حوض النيل. وأقول: النيل مكون من روافد هي:

- النيل الأزرق 59% من الإيراد
- نهر السوباط 14%
- نهر عطبرة 13%
- بحر الجبل 14%

إتفاقية مياه النيل السودانية المصرية لعام 1959م قدرت أن دفع مياه النيل في أسوان يساوي 86 مليار متر مكعب، 10 مليار فاقد تبخر والباقي 76 مليار قسم بين مصر والسودان بنسبة 55.5 لمصر و18.5 للسودان.

الخطأ الذي إرتكبته تلك الإتفاقية هو إستبعاد دول منابع النيل في الهضبة الإثيوبية والهضبة الإستوائية. لذلك تجمعت تلك الدول في إستقطاب حاد.

(4) انظر/ي الإمام الصادق المهدي، حراسة مشارع الحق: حماسة الثورة وميزان الحكمة، منشورات اللجنة القومية لتخليد ذكرى الإمام الصادق المهدي، 2021م

(5)سورة هود الآية (117)

في عام 1997م إلتقيت رئيس وزراء إثيوبيا المرحوم ملس زيناوي[6]. قال لي لقد استبعدنا وما لم يصحح الموقف سوف نتصرف منفردين. أزعجني هذا الموقف وفي لقاء بعد أسبوع مع رئيس جمهورية مصر العربية المرحوم محمد حسني مبارك [7] ذكرت له حديث الرئيس الإثيوبي فرد بقوله: من يمد يده للنيل سوف نقطعها. هذا الموقف وصفه نبيل فهمي [8] وزير الخارجية المصري السابق في «المصري اليوم» بتاريخ 26 يوليو 2016م بالعجرفة وغياب التقدير الإستراتيجي [9].

ومن ناحيتي عكفت على حقائق الموقف في حوض النيل وألفت كتابي: مياه النيل: الوعد والوعيد [10]، وقلت فيه إن دول منابع النيل لا تعترف بقوانين النيل لعام 1902م ولعام 1929م ولعام 1959م، والواجب أن نعمل على نجاح مبادرة حوض النيل لعام 1999م وأن نحسم النقاط الخلافية فيها، وفي مقال لاحق اقترحتُ كيفية التصدي للنقاط المختلف عليها ليكون الهدف هو إتفاق كافة دول حوض النيل على قانون جديد لحوض النيل [11].

الخلاف حول حوض النيل أوسع من الخلاف حول سد النهضة الإثيوبي.

---

(6) ملس زيناوي بن اميليص (مايو -1955 أغسطس 2012م) رئيس وزراء أثيوبيا منذ أغسطس 1995م حتى وفاته، وكان شغل قبل ذلك منصب الرئيس منذ 28 مايو 1991م. وصل للحكم بعد الإطاحة بنظام منقستو هايلي مريام الشيوعي في مطلع التسعينات.

(7) محمد حسني مبارك (مايو -1928 فبراير 2020م) الرئيس الرابع لجمهورية مصر العربية في الفترة أكتوبر -1981 11 فبراير 2011م إذ تنحى إثر ثورة يناير المصرية.

(8) نبيل إسماعيل فهمي (من مواليد 1951) دبلوماسي مصري، شغل سابقاً منصب وزير الخارجية في الفترة (2013-2014م). شغل منصب سفير مصر في الولايات المتحدة.

(9) جمعة حمد الله وفادي فرنسيس، نبيل فهمي وزير الخارجية السابق (2-2) حوار: عجرفة الأنظمة السابقة وراء أزمة سد النهضة، في «المصري اليوم» بتاريخ 26 يوليو 2026م، موجود على الموقع https://www.almasryalyoum.com/news/details/984586

(10) الصادق المهدي، مياه النيل: الوعد والوعيد، منشورات مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى 2000م. والطبعة الثانية منشورات صالون الإبداع للثقافة والتنمية، 2021م.

(11) نشرت مقالات الكاتب اللاحقة في: الإمام الصادق المهدي، نعمة النيل ونقمته: أوراق في المياه وسد النهضة، صالون الإبداع للثقافة والتنمية، 2021م

الموقفان المصري والاثيوبي على طرفي نقيض، وبعض الأغبياء يصرحون بإحتمال الحل العسكري، ولكنني قلت وأكرر أية خطوة نحو الحل العسكري إنتحارية وغير مجدية.

قدر السودان بصفته الجار لأكبر دولة منتجة لمياه النيل: أثيوبيا، وأكبر دولة مستهلكة لمياه النيل: مصر، عليه أن يتجنب الإستقطاب، وأن يعمل لتحقيق الوفاق بين كافة دول الحوض، وأن يعمل بكل قدراته للحيلولة دون استقطاب عربي/ أفريقي في حوض النيل.

الوفاق يحقق وعد النيل بما في ذلك زيادة دفق مياه النيل بتنفيذ مشروعات جونقلي الثلاثة، وبحصاد مياه الأمطار التي تهطل بمقدار مليارى متر مكعب، ولكن الذي يجري في مجرى النيل منها لا يزيد عن 80-90 مليون متر مكعب.

إذا استطاع السودان أن يحقق اتفاقاً شاملاً لحوض النيل فسوف يفتح ذلك المجال لتعاون تنموي وبيئوي وثقافي بين شعوب حوض النيل ما يحقق الهدف الواعد. ولكن إذا أخفقنا في هذه المهمة فسوف تتجه دول الحوض للأذى المتبادل ما يحقق الوعيد المؤذي لكافة الأطراف، وسوف ينعكس هذا الإخفاق سلباً على العلاقات بين ضفتي الصحراء الكبرى وهدم الوحدة الأفريقية المنشودة.

النقطة الثالثة: شمال الصحراء وجنوبها:

قال بازل دايفدسون [12]، المؤرخ البريطاني: «إن الكتاب الأوربيين كانوا يصفون أفريقيا جنوب الصحراء بأنها جغرافيا بلا تاريخ»، وقال: «إن

(12) بازل دايفدسون (9 نوفمبر 1914- 9 يوليو 2010) مؤرخ وكاتب بريطاني مشهور بكتاباته حول أفريقيا.

الرحالة العرب هم الذين غيروا هذه الصورة وأبرزوا حقيقة العطاء التاريخي والثقافي لأفريقيا جنوب الصحراء» [13].

الحقيقة أن الصحراء الكبرى كانت واصلاً لا فاصلاً بين شمالها وجنوبها. والمسيحية الوطنية في الدول الأفريقية أي الأرثوذكسية كانت واحدة في كنائسها العربية والأفريقية. كذلك منذ تصدي دويلة السودان المسيحية للفتح الإسلامي وإبرام إتفاقية «البقط» صار إنتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء سلمياً، ولكن الإمبريالية الغربية أقامت في البلاد الأفريقية جنوب الصحراء وجودا ثقافياً منتمياً إليها: انقلوفونية، وفرانكفونية، ونشرت الكنائس الغربية الكاثوليكية والبروتسنتية.

الإمبريالية الغربية حرصت على العوامل التي تفرق بين أفريقيا شمال الصحراء وأفريقيا جنوب الصحراء. الدور الرسالي السوداني من واجبه العمل بكل الوسائل السلمية للتعاون بين أفريقيا شمال وجنوب الصحراء.

إن نجاح السودان في التآخي والتعاون بين مكوناته الثقافية والإثنية يؤهله للقيام بدور في التعاون المنشود بين ضفتي الصحراء الكبرى.

إذا تجنب السودان أجندات الإستبداد التي تفرضها توجهات أحادية، وتجنب أجندات الأيدلوجية الإقصائية، فإنه يؤهل نفسه لدور إيجابي بين دول أفريقيا شمال الصحراء ودول أفريقيا جنوب الصحراء. فإن فاقد الشيء لا يعطيه من باب:

يا أَيُّها الرَجُلُ المُعَلِّمُ غَيرَهُ هَلا لِنَفسِكَ كانَ ذا التَعليمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضنَى كيما يَصحّ بِهِ وَأَنتَ سَقيمُ [14]

(13) Basil Davidson, African Civilization Revisited: From Antiquity to Modern Times, 1995

النقطة الرابعة: إتفاق دول البحر الأحمر:

البحر الأحمر أخدود فاصل بين جنوب غرب آسيا وشرق أفريقيا، وثروات دول جنوب آسيا لا سيما دول الخليج ودول شرق أفريقيا ذات شكل تكاملي، ففي الدول الأفريقية ثروات طبيعية هائلة وفي دول الخليج ثروات مالية هائلة.

العالم كله يعمل على إستقطاب الأموال الخليجية لصالح دوله كذلك تعقد مؤتمرات قمة أفريقية أمريكية، أفريقية أوروبية، أفريقية صينية لاستثمار الثروات الطبيعية الأفريقية.

إن نجاح السودان في تحقيق الوعد في حوض النيل، وفي تطوير الإخاء العربي الأفريقي يؤهله لتبني مشروعات تكامل إستثماري يزاوج بين الأموال والموارد والطبيعة.

الأموال العربية الآن توظف غالباً في الدول الغربية. شروط هذه الشركات مجحفة، وفي ثمانينات القرن الماضي كلفت لجنة الحوار الشمالي الجنوبي برئاسة المستشار الألماني السابق فيلى برانت [14] أن يوصي بعلاقات اقتصادية عادلة بين دول الشمال ودول الجنوب. فرغت هذه اللجنة من مهامها ونشرت تقريرها لإقامة علاقات اقتصادية عادلة بين دول الشمال الغنية ودول الجنوب[15]. ولكن التقرير أهمل. استثمار الأموال في الدول الغربية فيه

---

(14) فيلي برانت (Brandt Willy)؛ (1913 – 1992م) مستشار ألمانيا الغربية في الفترة(1969- 1974)، حاز على جائزة نوبل للسلام بعد الحرب العالمية الثانية لسياسته تجاه بلدان أوربا الشرقية.

كلف رئيس البنك الدولي آنذاك، مكنمارا، لجنة برئاسة برانت لمراجعة قضايا التنمية الدولية، وصدر تقريرها عام ١٩٨٠م مركزاً على الاختلافات البالغة بين شقي الكرة الأرضية وضرورة معالجتها.

(15) صدر التقرير بعنوان «الشمال-الجنوب: برنامج للبقاء»، تضمن تحليلًا وتحديداً للأوليات وبرنامجاً إسعافياً للدول النامية ومقترحاً بعقد قمة لقادة العالم للاتفاق على المطلوب.

نص التقرير في موقع البنك الدولي:

wbg-archives-1771353.pdf ://http/740171389301413438/1/pubdocs.worldbank.org/pubdocs/publicdoc/2014

مخاطر - مثلاً - المضاربة في الأوهام التي أحدثت هزة عام 2008م والتي ضاعت معها أموال عربية كثيرة.

كذلك الدول الأقوى تستطيع إملاء شروطها. لكن التعاون التنموي مع الدول الأفريقية غرب البحر الأحمر ستكون ندية وعادلة لطرفيها. إن تحقيق توافق في حوض النيل وتعاون بين شقي الصحراء الكبرى، وتكامل تنموي بين دول ضفتي البحر الأحمر مقومات تكفل عوامل موضوعية لاتفاق الدول المتشاطئة على البحر الأحمر أن تبرم اتفاق أمن وتعاون تنموي، فدول شمال الأطلسي لديها اتفاقها، وكذلك دول المحيط الهادي. والمطلوب الآن إبرام اتفاق أمن وتعاون بين دول البحر الأحمر.

ولنجاح هذا الاتفاق ينبغي حدوث ثلاثة أمور فيما يتعلق بدول شرق وغرب البحر الأحمر وهي:

الأول: وقف الحروب فيها فحرب اليمن يجب إنهاؤها باتفاق سلام لا سيما وقد وصلت الحرب إلى طريق مسدود مستنزف لكافة أطرافها.

والأمر الثاني هو حل كافة المشاكل الحدودية بين الدول المتشاطئة على البحر الأحمر.

والأمر الثالث هو إدراك المصلحة التنموية التكاملية بين ضفتي البحر الأحمر الشرقية والغربية.

تحقيق وحدة وتنمية الدولة الوطنية السودانية وقيام السودان بالمهام التي يفرضها عليه موقعه الجيوسياسي واجبات تتطلب وجود إرادة سياسية قوية يدعمها تأييد شعبي يكفل شرعيتها الدستورية.

هذا هو التحدي:

إذا إلتف حول الحق قومٌ فإنه يصرم أحداث الزمان ويبرم

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 00249122094856 - 121566207
البريد إلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation